الفصل الثاني

الدوافع

لم يكن لينجح اليهود في احتلالهم لفلسطين ، وإنشائهم كيانهم الصهيوني الغاصب هناك نتيجة الأسباب السابقة فحسب ، بل يرجع كذلك بدرجة كبيرة إلى الدعم الفريد الهائل في كل المجالات من قِبَل الغرب المسيحي . ويرجع هذا الدعم الفريد إلى عدة دوافع :

١ – العداء المشترك للإسلام والخشية من الصحوة الإسلامية :

إن كنا – حقاً – رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، فلابد أن يكون حكمنا على أي شيء وفق كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، ذلك إن أردنا فلاحاً وتوفيقاً .

وليس هناك حلكة أشد من موقف اليهود اليوم باحتلالهم لأرضنا الإسلامية المقدسة ، وهو ما أخبرنا عنه رسولنا عليه السلام حين قال : « **ستكون فتن كقطع الليل المظلم** » – فلما سئل : وما المخرج منها يا رسول الله ؟

قـال :

« **كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي مَنْ تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنتهي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن أن سمعوه أن قالوا : « إنا سمعنا قرآناً عجبا » .**

هو الذي من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »[1].

ولكي نتبين موقفنا وموقف الآخرين تجاهنا ، أخبرنا الحق – سبحانه وتعالى – وقوله

---

(١) أخرجه الدارمي والترمذي في سننه .

الحق ، عن ذلك في آيات كثيرة ، لابد أن نرجع إليها ونستيقنها تماماً ، ولا يخالجنا أي شك أو ريبة ، في استمراريتها وتواصلها إلى آخر الزمان .

يقول تعالى ، عن أهل الكتاب – في كل مكان وزمان – :

- ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[1].
- ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِن خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضلِ الْعَظِيمِ ﴾[2].
- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[3].

ثم يبين لنا الله تعالى غايتهم ومرادهم – في كل مكان وزمان – في تلك الآيتين :

- ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[4].
- ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[5].

وليس بعد ما أوضحته تلك الآيتان من عذر لمن غفل وجهل ، ولمزيد من التفصيل في مواقف أهل الكتاب ، جاءت الآية التالية نذيراً لكل ذي بصر وبصيرة :

- ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الذين قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ .

أما صفة هؤلاء « النصارى » ، الذين عندهم القرآن بالمودة تجاهنا ، فلهم أوصاف محددة بينتها بقية الآيات ، وليس النصارى على مجرد العموم :

- ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾[6].

كان ما سبق هو موقف الآخرين تجاهنا نحن المسلمين ، أما موقفنا كما حدده الله تعالى في كتابه الكريم ، فهو كالآتي :

---

(١) سورة البقرة : ٩٠ .
(٢) سورة البقرة : ١٠٥ .
(٣) سورة البقرة : ١٠٩ .
(٤) سورة البقرة : ١٢٠ .
(٥) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٦) سورة المائدة : ٨٢ – ٨٣ .

- ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[1] .
- ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2] .
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[3] .

ولقد بينت الأيام – وستبين لنا كذلك – مدى الحقد الأعمى الدفين الذي يكنه لنا هؤلاء الأعداء . تبين لنا ذلك في أعقاب سقوط الأندلس ، ومحاكم التفتيش وما صاحبها من أهوال وفظائع ومذابح يشيب لهولها الولدان ، وكذلك في أيام الحروب الصليبية وعقب سقوط القدس حيث قتل سبعون ألف مسلم داخلها فقط ، وقل مثل ذلك عند احتلال فرنسا لبلدان المغرب العربي ، ومآسي احتلال الطليان لليبيا ، ومذابح الهندوس – عُبَّاد البقر – للمسلمين في شبه الجزيرة الهندية قبل وبعد استقلال الباكستان ثم مذابحهم الحالية للمسلمين في الولايات الهندية « آسام » وما أدراك ما آسام ؟!

– إن أقل ما توصف به أنها : آثم ! ثم مذابحهم لمسلمي جامو وكشمير حالياً ، ومذابح القياصرة ثم البلاشفة من بعدهم لمسلمي الممالك الإسلامية التي سقطت في أيديهم في وسط آسيا ، ومذابح مسلمي الصين على أيدي أباطرتها ومن بعدهم الشيوعيين في تركستان الغربية – **سينكيانج حالياً** – ومذابح مسلمي جزر الفلبين ، تلك الجزر الإسلامية أصلاً [حيث أن أصل اسم العاصمة مانيلا : أمان الله] ، ومذابح البوذيين في بورما وتايلاند وغيرها لمسلمي تلك البلدان ، ومذابح السفاح نيريري في تنزانيا حيث ضم جزيرة زنجبار إلى تانجانيقا قسراً وذب أهلها ، ومذابح أسد يهوذا – هيلاسلاسي لمسلمي الحبشة وأرتريا التي ضمها بتواطؤ غربي دنيء وتغافل وعجز وتهاون عربي ، ثم مذابح الشيوعيين الروس في أرض الأبطال المسلمة أفغانستان حالياً ثم مذابح اليهود في فلسطين : دير ياسين ، وقبية ، وكفر قاسم وغيرها كثير ... ناهيك عن مذابحهم المروعة في فلسطين حالياً ... هذا فيض من غيض ، وتلك أمثلة فقط لا إحصاء ، فأينما وجهت البصر ترى دماءً مسلمة تراق ، وأعراضاً تنتهك ، وأراض تسلب ... ولكن فأي البلدان أذكر ، وأي

---

(١) سورة البقرة : ١٩٣ .

(٢) سورة الممتحنة : ٨ ــ ٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٦ .

البلدان أترك ؟!

الظـالمون كلهـــم أعـــدائي أنـا في دمـي أمم من الشـهـداء

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً** ﴾ ثم بعد كل ما أخبر عنه الله في كتابه الكريم ، وسجلته لأيام بأياديهم الملطخة بدماء المسلمين في كل مكان وزمان – يأتي أقوام منا **ينادون بما نادت به الماسونية وأشباهها من الدعوات المريبة كجمعيات الإخاء الديني ، وجلسات التقريب بين الأديان ، ووحدة الأديان ، وجمعيات التسلح الخلقي** ، فهذه جمعيات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

وكم كان موفقاً شيخ الأزهر الأسبق عبد الحليم محمود – رحمه الله – حينما جاءه وفد من الفاتيكان ليأخذ موافقته على اشتراك الجامع الأزهر في مؤتمر للحوار المسيحي – الإسلامي ، تحت دعوى محاربة الإلحاد والشيوعية ، ونشر الأخلاق والفضائل ، حيث طلب منهم – بوصفهم ممثلين عن الغرب المسيحي ومؤسساته الدينية – ثلاثة مطالب واجبة التنفيذ قبل الشروع في أي حوار :

١ – ضرورة اعتراف صريح من الكنيسة بأن القرآن الكريم هو كتاب إلهي مقدس ، وأن سيدنا محمد رسول من عند الله[1]. كما يعترف المسلمون بالمثل ، حيث عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله ، وأن الإنجيل الحقيقي منزل عليه من الله عز وجل [**ومن المعلوم طبعاً أن الإسلام وشرعه يلغي ما قبله من شرائع ، ويلزم اتباع شريعته بوصفها خاتمة الرسالات الإلهية**] ، وبالتالي وقف السخرية وسب الرسول الكريم والقرآن الكريم .

٢ – ضرورة وقف الحملات التنصيرية التي تتعرض لها شعوب إسلامية كثيرة قسراً باستغلال حاجات الفقر والمرض والجهل ، حيث تنتشر المجاعات والكوارث والأوبئة . وكذلك وقف دعم الكنيسة للعصابات الإرهابية التي تنشر الفزع والرغب والهلاك كما في الفلبين والحبشة ، وجنوب السودان وكثير من الانقلابات العسكرية في أفريقيا .

٣ – وقف كافة أنواع الدعم للكيان اليهودي العاصب في فلسطين . فلم يدر الوفد جواباً ! ويخطىء الذين يظنون أن العداوة والبغضاء التي يكنها هؤلاء الأعداء للإسلام والمسلمين مرجعها أموراً اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك من الأسباب ، فهي ستار فقط لهذا الحقد الأعمى الدفين .

وإلا فقل لي بربك ما تفسير هذه « الهستيريا » الشعواء نتيجة لارتداء طالبتين

---

(١) مفهوم أن تلك المطالبة تقتصر على اعترافهم بالإسلام ورسوله ، كوحي إلهي وليس إدعاءً وتخرص كما يقولون ومن البدهي أنه لم يطالبهم باعتناق الإسلام .

مسلمتين الحجاب دون فرضه على الأخريات في فرنسا – بلد الحريات الشخصية كما يزعمون – ؟!

أو قل لي بربك ما تفسير هذه الحمى المجنونة من العداء ضد الإسلام والمسلمين واحتضان الغرب حكاماً وساسة ومثقفين للمارق الزنديق « سلمان رشدي » صاحب كتاب « آيات شيطانية » بمجرد إبداء حكم الشرع الإسلامي في هذا المارق – وذلك في بلد القوانين بريطانيا كما يزعمون ؟!

أو ما سبب لين « جورباتشوف » إزاء المطالبين بالاستقلال في جمهوريات البلطيق التي ضمتها روسيا إليها ، وتعاطف كل الغرب معها ، بينما برز التناقض البشع في رده الدموي الوحشي على أقل من ذلك في مطالب مسلمي أذربيجان – حيث تدخل الجيش الأحمر بدباباته ومدرعاته ساحقاً لأجساد الألوف – وسط تغاضي الغرب بل وتشجيعه ؟

ليس هناك إلا سببٌ واحدٌ هو أن هؤلاء الضحايا مسلمون !

وكفى بها تهمة تبيح أقصى التنكيل في منطق هؤلاء الأعداء !

« وما لنا نعجب من ذلك »[1]

والله العليم الخبير نبأنا في الآيات السابقة عن إصرارهم الخبيث على الشر ، وعلى فتنة المسلمين عن دينهم ، بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم . وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل .. إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين ، ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين .

إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم . فهو من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل ، ويرهبه كل باغ ، ويكرهه كل مفسد .

إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج ، ومن منهج قويم ، ومن نظام سليم .. إنه بهذا كله حرب على الباطل والبغي والفساد .

ومن ثم لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون ، ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه ، ويردوهم كفاراً في صورة من صور الكفر الكثيرة . ذلك بأنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم ، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين ، وتتبع هذا المنهج ، وتعيش بهذا النظام .

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته ، ولكن الهدف يظل ثابتاً ... أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا . وكلما انكسر سلاح انتضوا سلاحاً

---

(١) راجع « في ظلال القرآن » / حـ ٢ .

غيره ، وكلما كَلَّت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها ... والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام ، وينبهها إلى الخطر ، ويدعوها إلى الصبر على الكيد ، والصبر على الحرب ، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة » .

« فالعقدة[1] الدائمة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان هي العقيدة .

فالعقيدة هي حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة .. إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما ، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها ، ولكنها تلتقي دائماً في المعركة ضد الإسلام والمسلمين .

إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها . ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى ، ويرفعان عليها أعلاماً شتى ، في خبث ومكر وتورية . إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة . ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا أعلام المعركة .. لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة – على حقيقتها – خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها . إنما أعلنوها باسم الأرض ، والاقتصاد ، والسياسة ، والمراكز العسكرية .. وما إليها . وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها .

ولا يجوز رفع رايتها ، وخوض المعركة باسمها . فهذه سمة المتخلفين المستعصبين ! ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها .. بينما هم في قرارة نفوسهم : الصهيونية العالمية والصليبية العالمية – بالإضافة إلى الشيوعيو العالمية – جميعاً يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً ، فأدمتهم جميعاً ...

إنها معركة العقيدة . إنها ليست معركة الأرض . ولا الغلة . ولا المراكز العسكرية ، ولا هذه الرايات المزيفة كلها . إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين . ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها ، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا . ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه – ﷺ – وهو الثمن الوحيد الذي يرضونه . وما سواه فمرفوض ومردود » .

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾...

بقيت تلك العداوة الدفينة والحقد الأعمى في صدر أعداء الإسلام طالما بقي المسلمون أعزاء أقوياء بدرجة أو بأخرى ، حتى إذا بلغ[2] الانحطاط بالمسلمين في الأندلس أن

---

(١) راجع « في ظلال القرآن » جـ ١ .

(٢) راجع « قصة العرب في أسبانيا » – تأليف : ستانلي لين بول – ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

« حارب الابن أباه في آخر بقعة لهم هناك في غرناطة ، واستعان بالأعداء على بني دينه، بعد أن تنازعتهم الفرقة والشهوات والخيانة ، عندئذ أيقن نصارى الأندلس أن بقاء ملك المسلمين هناك آذن على الزوال ، فأرسل أبو عبد الله بن بني الأحمر في آخر ديسمبر ١٤٩١م/٨٩٧هـ . إلى فرديناند وإيزابيلا الملكين الكاثوليكيين طالباً إليهما تسليم المدينة بعد أن يئس من وصول أي نجدات من مماليك مصر أو سلاطين تركيا . وحدث عن المذابح بعد ذلك بلا حرج ، حتى إذا وصل آخر ملوك غرناطة إلى « قرية البذول » وهي على مسافة مرحلتين من غرناطة وقف على مرقب عال من جبال البشرات يودع آخر ممالك الإسلام في الأندلس ، فأجهش بالبكاء صائحاً : الله أكبر ... فردت عليه أمه عائشة قائلة : حق لك يابني أن تبكي كما تبكي النساء ، لفقد مدينة لم تستطع أن تدافع عنها دفاع الرجال !

وسميت هذه البقعة التي ودع فيها أبو عبد الله مدينته بدموعه وزفراته : « **آخر حسرات العربي** » .

على أن « آخر حسرات العربي » في الأندلس ، كانت بداية لحسرات أخرى في بقاع وممالك إسلامية كثيرة ، فقد أنعش الانتصار نفس النصارى في طرد المسلمين واستئصالهم في بقاع أخرى وكان إرسال « كولومبس » أساساً للوصول إلى ممالك المسلمين والالتفاف حولهم وحصارهم في آسيا والهند ، وكذلك كانت رحلات « ماجلان » ، والرحلات إلى الحبشة للالتقاء بالمملكة المسيحية هناك لحصار المسلمين في أفريقيا ، ثم « كانت الحروب الصليبية* التي استمرت قرابة قرنين من الزمان ، وهي حركة استعمارية استيطانية تمثل السابقة الأوربية الأولى لمحاولة استعمار العالم العربي وضرب الإسلام تحت راية الدين المسيحي وتحت شعار الصليب ، فبرزت فكرة أن الأرض التي شهدت قصة المسيح : وفيها ضريحه (في زعمهم) ، لابد أن تكون تحت سيطرة أتباعه ، وكانت قوة أوربا وضعف العرب حينئذ هو الدافع الأساسي لفكرة تخليص الأرض المقدسة من المسلمين ، الذين صورتهم الدعاية الكنسية في صورة الكفار المتوحشين .

وبرزت مسألة تبرير الحرب على أسس مسيحية ظاهرة ، « الحرب العادلة » .

ولقد استخدمت البابوية فكرة الحرب العادلة في القتال الذي كان دائراً ضد مسلمي الأندلس ، إذ منح البابا الإسكندر الثاني في سنة ١٠٦٣م « غفراناً » للفرسان الفرنسيين الذين ذهبوا لقتال المسلمين في أسبانيا . ثم كان جريجوري السابع هو الذي صاغ فكرة « الحرب المقدسة » في شكلها النهائي ، وأرسل خطاباً باباوياً منه إلى الكونت وليم الأول

---

* راجع « ماهية الحروب الصليبية » د. قاسم عبده قاسم .

أمير بورجوني يدعوه لنجدة الكنيسة ومحاربة المسلمين الذين يهددون القسطنطينية ١٠٧٤م ، وكذلك أرسل خطاباً آخر يدعو فيه « كل الراغبين في الدفاع عن العقيدة » لنجدة القسطنطينية التي وصل المسلمون إلى أسوارها ، وحين ربط البابا جريجوري السابع بين الحرب ضد المسلمين وفكرة الحرب المقدسة كان يجسد الفكرة القائلة بضرورة استخدام القوة لحماية شعب المسيح من الأعداء باعتبار هذا سبباً « عادلاً » لشن الحرب ، وهي الذريعة التي تخذها البابا أربان الثاني « في كليرمون ١٠٩٥م » وهو يدعو أمراء أوربا وفرسانها ، لأخذ شارة الصليب .

. فقد ادعت البابوية أن الحملة الصليبية الأولى تقوم على سبب عادل هو مساعدة البيزنطيين ضد المسلمين في الشرق . وعندما نجحت الحملة الأولى في إقامة مملكة بيت المقدس وعدة إمارات أخرى في المنطقة العربية ، تغير المبرر الذي اعتبره اللاهوتيون « سبباً عادلاً » لشن الحرب ضد المسلمين . وتمت صياغة المبرر الجديد على أساس أن الأرض التي شهدت قصة المسيح قد صارت بأيدي المسيحيين حقاً ، بيد أنها تحتاج إلى قوات عسكرية للدفاع عنها . وقد أكد البابا أجينوس الثالث هذا الأمر ١١٥٤م ، وترددت أصداء في الخطابات البابوية بعد ذلك ، قال :

« ... بفضل الرب وحماسة آبائكم ، الذين ناضلوا للدفاع عنها (الأرض المقدسة) على مر السنين ، لكي ينشروا المسيحية بين شعوب هذه المنطقة ، نجح المسيحيون في الحفاظ على هذه الأرض حتى الآن ، كما استولوا بشجاعة على مدن أخرى من الكفار ... » .

وتحت المفهوم الكنسي « الحرب المقدسة »* قام روبرت جويسكارد بغزو شمال صقلية (١٠٦١ – ١٠٧٢م) ، وقد شن هذه الحرب ضد المسلمين وفاء للقسم الذي قطعه على نفسه أمام البابا نيقولا الثاني ، وبذلك حصل على مباركة البابوية على هذا المشروع .

كذلك سمحت البابوية للعرسان بالقتال ضد مسلمي الأندلس بدلاً من الاشتراك في الحملة الصليبية إلى فلسطين .

وقد ساهمت أحوال المسلمين حينئذ في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادي في نجاح تلك الحملات الصليبية .

كان التمزق السياسي والتناحر العسكري مخيماً على العالم العربي وكانت مشاعر الحقد والشك المتبادلة بين الكيانات السياسية العربية سبباً في العداء السياسي والعسكري الذي

---

* راجع « ماهية الحروب الصليبية » .

سبب تنافر هذه القوى ، وعدم توحدها في مواجهة الغزو الصليبي ، حتى سقطت القدس في ٢٢ شعبان ٤٩٢هـ/١٥ يوليو ١٠٩٩م – وأعقب ذلك مذبحة فظيعة ، وأبيحت المدينة للسلب والنهب والقتل عدة أيام وفاض الدم ، وظلت الجثث مطروحة في شوارع القدس عدة أيام .

ثم تمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على ساحل البحر الأبيض للشام ، وحاولوا غزو مصر أيام حملة لويس التاسع الذي أسره المصريون في دمياط .

وبعد مزائم مريرة ومذابح مروعة أدرك المسلمون أن الصليبيين قد جاءوا إلى بلادهم بقصد البقاء ، وأثارت أعداد اللاجئين من مذابح الفرنج مشاعر الآستياء والغضب في كل مكان ذهب إليه اللاجئون ، كذلك أثار سقوط القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين ظاهرة إيجابية هي بروز رأي عام قوي بين جماهير الناس ، وبدأت الدعوة إلى الجهاد تسري في أنحاء العالم العربي والإسلامي بسرعة كبيرة ، بحيث عمت سائر المناطق وذلك تحت قيادة علماء الدين ، ومن رحم هذه الحركات تبلورت اتجاهات المقاومة العربية الإسلامية ضد الصليبيين ، وجرت محاولات جادة لتوحيد جهود حكام المسلمين ضد الصليبيين حتى ظهر « عماد الدين زنكي » أمير الموصل ليقود حركة الجهاد ، حيث طوع قوته وموارده العسكرية في خدمة الجهاد العام وصار أقوى حاكم مسلم حينئذ ، وقضى على الثغرات الانعزالية في المنطقة العربية ، حتى استطاع الاستيلاء على « الرها » أول إمارة صليبية تقوم على أرض المشرق العربي الإسلامي وكان ذلك بعد أقل من خمسين عاماً من استيلاء « بلدوين » عليها ، مما أثار صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة على الصليبيين ترددت أصداؤها في كل مكان* .

وتولى ابنه « نور الدين محمود » قيادة الجهاد بعد ذلك ودخل دمشق ٥٤٩هـ وبذلك تم توحيد الجبهة الشمالية ، واتجهت أنظاره إلى مصر بمواردها البشرية والاقتصادية الكبيرة – وقد ساعده الصراع السياسي الداخلي فيها حينئذ – فأرسل حملة بقيادة « أسد الدين شيركوه » لنجدة الوزير شاور ، وكان برفقته في تلك الحملة ابن أخيه « صلاح الدين يوسف الأيوبي » ، الذي خلف « نور الدين محمود » في قيادة الجهاد ضد الصليبيين فيما بعد .

وبعد عدة تطورات سياسية أعلن صلاح الدين الأيوبي نفسه ملكاً على مصر ٥٧٠هـ ، وتمكن من بسط سلطانه على منطقة تمتد من النيل إلى الفرات حافلة بإمكانات وموارد هائلة استخدمها استعداداً لمنازلة الصليبيين ، حتى بلغت قمة انتصاراته عليهم في

---

* راجع « ماهية الحروب الصليبية » – د. قاسم عبده قاسم .

حطين بفلسطين يوم ٢٤ ربيع الثاني ٥٨٢هـ / ٤ يوليو ١١٨٧ ، وبها فقدت مملكة بيت المقدس الصليبية قواتها العسكرية وأصبح صلاح الدين الأيوبي صاحب السيادة على العالم العربي الإسلامي بأسره ، وسرعان ما بادرت المدن والقلاع الصليبية إلى الاستسلام وبعد حصار قصير دخل صلاح الدين وقواته المدينة المقدسة القدس في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ / ٢ أكتوبر ١١٨٧م بصورة إنسانية تناقض وحشية الصليبيين حين غزوها قبل بضع وثمانين سنة .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي في دمشق ٥٨٩هـ ، تمكن خلفاؤه بعد كر وفر من إجلاء الصليبيين نهائياً من المشرق العربي في عهود السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، حتى جهز الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون جيشاً حاصر عكا حتى حررها المسلمون ٦٩٠هـ بعد أسر دام مائة سنة وثلاث ، وبعد عكا سقطت بقية المدن والمعاقل الصليبية تباعاً ، ودالت دولة الصليبيين في فلسطين إلى غير رجعة .

ولقد كان القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي يمثل أخطر فترة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية على الإطلاق : إذ تعين على المسلمين آنذاك أن يواجهوا موجات من الهجوم شرقاً وغرباً على حد سواء . ففي الأندلس كان الوجود الإسلامي ينكمش أمام الهجوم الكاثوليكي . وفي الوقت الذي كانت قوات الحملة الصليبية السابعة تنزل على شاطىء البحر المتوسط أمام دمياط ، كانت جحافل التتار بقيادة هولاكو تطوي بلدان المشرق الإسلامي ، وتقترب من بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك ، وقد لعب التشرذم والاختلاف والتناحر أهم العوامل التي مكنت لقوى الأعداء من السيطرة والتمكن من بلاد المسلمين » . أ . هـ .

وهذه هي عبرة التاريخ الدائمة لمن أراد العظة والاعتبار .

واستمر الوضع في العالم الإسلامي ينحدر تدريجياً نحو الضعف والخمول حتى قيض الله للعالم الإسلامي أمة شابة فتية لم يهدها الترف والانحلال ، متوثبة العقيدة ، هي دولة الأتراك العثمانيين التي نجحت في بسط سلطانها على بلدان العالم الإسلامي وصدت عن بلاد المغرب العربي بالذات أخطار الحقد الصليبي الجامح بعد سقوط الأندلس في أيديهم ، حتى إذا لحق بالأتراك العثمانيين ما لحق بأسلافهم من الترف والانحلال والاختلاف والتنازع على الملك وفساد الإدارة والرشا ودبت عوامل الفناء والانهيار في دولتهم استطاع أعداء الأمة المتربصين دائماً أن يعاودوا الكرة والهجوم على العالم الإسلامي من جديد فسقطت مصر تحت أقدام الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت ١٧٩٨م وأخيراً احتلها الإنجليز ١٨٨٢ وكذلك سقطت بلاد الشام والعراق وليبيا والمغرب والسودان تحت سنابك المحتلين .

حتى إذا كان أوائل القرن العشرين الميلادي لم تبق منطقة إسلامية من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي – تقريباً – إلا رازحة تحت الاحتلال الأجنبي ، وكان ذلك أبلغ رد على هزيمة القوت الصليبية سابقاً .

ولم يستطع أحفاد الأمس أن يخفوا هويتهم وشعورهم بالانتقام ، حتى وقف الجنرال البريطاني « اللنبي » في القدس ١٩١٧م قائلاً :

« الآن انتهت الحروب الصليبية » !

وحتى وقف القائد الفرنسي « غورو » في دمشق ١٩٢٠م أمام قبر البطل صلاح الدين الأيوبي قائلاً :

« ها .. لقد عدنا يا صلاح الدين » !

(أ) وقد قادت الكنيسة عملية العداء للإسلام وغذتها وأججت لهيبها ونفخت في شرارتها فأفرزت « أكباد أكلتها الضغينة والأحقاد ، وصدور طفحت شعابها بصديد البغضاء . وليس أدل على ذلك من هذا الخطاب الذي ألقاه قس حاقد « **جايردنر** » ، في مؤتمر تنصيري عقد بالقاهرة – ١٩١٠م ، يقول فيه :

[... إن مشكلة الإسلام هذه مسألة لا يمكن أن نتغافلها ببساطة – ليست حتى في مواجهة لأوضاع العاجلة بطريقة لا يمكن وصفها ، كالتي تواجهنا في الشرق الأقصى .

وهذه **أولاً** ، لأن الإسلام على أبوابنا ، فمن أقصى الساحل الشمالي الأفريقي يواجه أوربا ، إنه فعلاً يلمسها ، ويمكن القول أنه يمسكها عملياً من طرفي البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية .

و **ثانياً** : لأنه مشكلة مركزية أيضاً .

فكروا في تلك الكتلة المركزية لعالم الإسلام الصلب من شمال أفريقيا إلى غرب ووسط آسيا ، إنه كأسفين ثابت ، يحجب الغرب المسيحي عن الشرق الوثني ، وأريدكم أن تدركوا أيها الآباء والأخوة أنه حتى لو حلت مشاكلنا مع يابانيينا وكورينا وصينيينا ومنسورينا وهنودنا ، ولو واجهنا أزماتهم الحالية في سعادة وتغلبنا عليها ، وأضفنا شرق أقصى مسيحي إلى الكنيسة ، فإن ذلك الوتد (الخازوق) ، الغريب عنا والمعادي لنا ، غير المنسجم أو المتعاطف ، سيقطع العالم النصراني ، الشرقي والغربي ، كلية ، إلى نصفين ، فاصلاً الاثنين ، عازلهما عن بعضهما ، مظهراً – للرب والإنسان – ليس فتقاً فحسب ، بل صدعاً من القمة إلى القاع في ثوب الكنيسة العظيم ، بل في ثوب الإنسانية كلها ، التي لولا الإسلام ! لانتصر عليها المسيح .

فحقاً ، لذلك يجب ألا نؤجل مشكلة الإسلام . إنها مشكلة اليوم كما رأينا . فليكن

نفس « اليوم » ، على هذا ، هو يوم الحل والخلاص][1].

وقد حرص مترجمها أن تكون الترجمة حرفية ، قاصدة المعنى المراد بدقة فائقة ، « لم أسقط حرفاً أو أترك نقطة أو أهمل شرطة أو ألغي فاصلة منقوطة أو شبه منقوطة ، لكيلا نحرم القارىء من أي حرف أو حركة حتى التقاط أنفاس أرادها « الأب » الكاهن المبشر من مؤامرته ...

ها هي ذي رسالة « التنصير » – المسمى الفعلي للتبشير – عارية عورة مولدها وعار أهدافها لا يسترها حتى ورقة التوت ، وخباؤها أو هي من بيت العنكبوت .

وهؤلاء هم « المبشرون » .. جاءوا إلى بلادنا طلائع هجمة صليبية حديثة أعظم خطراً أو أشد فتكاً من الحملة الصليبية الرسمية القديمة . جاءوا لاقتلاعنا من جذورنا وتنصيرنا أو إبادتنا جميعاً ... » .

(ب) ولم يقتصر ذلك العداء على الماضي فقط ، بل إنه مستمر وسيستمر حتى النهاية ، ودليل ذلك تلك الكراهية التي تدعوهم حالياً – ١٩٩٠م – لتحويل حلف « الناتو – الأطلنطي » ، إلى حرب الإسلام والمسلمين .

حيث صرح مسئول كبير في المجلس الوزاري الأوربي ، « جياني دي مكليس » : « **بأن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة ، إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها ، بين العالم الغربي والعالم الإسلامي** »[2] . وذلك هو ما يجري الإعداد والتخطيط له حالياً ، ونذره ظاهرة .

٢ – الأسس الدينية العميقة الجذور في الثقافة المسيحية (البروتستانية بصفة خاصة) :

نتيجة لواحدة من أخطر وأشنع عمليات التلاعب والتزوير الديني ، بالإضافة إلى الجهد الدؤوب والمنظم الذي بذلته الكنيسة البروتستانية على وجه الخصوص ، ولدت الحركة الصهيونية في أحضان المسيحية البروتسانية قبل هرتزل بقرون ، وأنها « كانت **أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية** »[3] – كما قال (**كينين**) أحد أبرز القيادات الصهيونية اليهودية الأمريكية في كتابه (خط الدفاع الإسرائيلي) ، وأن أول من رفع شعار : « فلسطين أرض بلا شعب ، لشعب بلا أرض » هم أصوليون

(١) « الوثيقة – الإسلام الخطر » – ترجمة : محمود الشاذلي – ص ١٨ – ١٩ .
(٢) فهمي هويدي [نقلاً عن مجلة « نيوزويك – ٩٠/٧/٢] – صحيفة الأهرام ١٩٩٠/٧/١٧ .
(٣) النبوءة والسياسة – ص ٦ .

مسيحيون» ، وأن المسيحية اليهودية هي التي مهدت لظهور الصهيونية اليهودية ودعمتها لتنفيذ المشروع الاستيطاني فوق أرض فلسطين ، وهي التي خلقت تياراً شعبياً قوياً ينحاز دائماً إلى لحركة الصهيونية ، وتمنح مؤسساته الرسمية الدعم والمساندة للصهيونية لتحقيق أهدافها العدوانية التوسعية .

فمن الثابت تاريخياً دور الكنيسة البروتسانتية في « تحويل الصراع التاريخي الدموي بين اليهودية والمسيحية إلى تحالف استراتيجي ، واعتبار المسلمين المؤمنين بالمسيح أعداء للنصارى ، واعتبار اليهود الذين حاربوا المسيح كما حاربوا الأنبياء كافة ــ حلفاء وأصدقاء ، وتغييب الأناجيل التي تدين اليهود وتنذرهم باللعنة والدمار والجحيم ، وتحويلها لمسيحية إلى رسالة إلهية لدعم لصهاينة وتشجيع التوسع والعدوان ، حيث نسبغ الشرعية للمسيحية الدينية على الاغتصاب والإرهاب الصهيوني »[1] .

فعقب ما يعرف بحركة « الإصلاح الديني » في أوربا ، في القرنين ١٦ ، ١٧ ميلادية ، توجه البروتستانت إلى الكتاب المقدس « الإنجيل » ، وترجم إلى لغات الناس العاديين بدلاً من كنيسة معصومة ، يمثلها البابا في روما ، تحتكر تفسير الإنجيل ، وهنا تم التوجه إلى العهد القديم ، الذي يعرف « بإنجيل اليهود – أو الإنجيل العبراني » ، وبذلك تركز الاهتمام على اليهود بدرجة كبيرة ، حتى إن الطوائف اليهودية ذات النفوذ القوي برزت من خلال الكنائس البروتستانتية الإنجليزية[2]، وتم تعظيم مفهوم إسرائيل واليهود على أنهم المفتاح الأساسي للرؤى الإنجيلية[2].

هذه الرؤى الإنجيلية تشير إلى عودة المسيح « المجيء الثاني » ، و « الألفية » أي حكم السلام لمدة ألف سنة على الأرض .

وتم الاعتقاد « بأن عودة اليهود إلى فلسطين « المسترجعة » شرط لتحقيق المجيء الثاني للمسيح ، وأن مساعدة اليهود لتحقيق هذه الغاية أمر يريده الله لأنه يعجل بمجيء المسيح الذي يحمل معه الخلاص والسلام ، حيث يعيش النصارى المخلصين معه في فلسطين ألف سنة في غد وسلام قبل يوم القيامة »[3] – وذلك طبقاً لبعض التفسيرات الحرفية لسفر رؤيا يوحنا . إن تيودور هرتزل – أب السياسة الصهيونية – لم يختلق حركة تشجيع اليهود للانتقال إلى فلسطين ، لقد فعل ذلك المسيحيون البروتستانت الإنجيليون قبل ثلاثة قرون من المؤتمر الصهيوني الأول .

---

(٥) اللورد أنطوني أشلي كوبر / ١٨٣٩م – المصدر السابق – ص ١٣٧ .

(١) النبوءة والسياسة – ص ١٤ – ١٥ .

(٢) المصدر السابق – ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٣) المصدر السابق – ص ٩ – ١٣٧ .

فعندما تردد هرتزل في اختيار فلسطين كأرض يقام عليها كيان صهيوني ، أرسل إليه المبشر وليم بلاكستون[1]، أحد الصهيونيين المسيحيين البارزين ، نسخة من الإنجيل تظهر فيها علامات وضعها هو تشير إلى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة ، وهذه النسخة ماتزال معروضة إلى جانب ضريح هرتزل في القدس .

وفي المؤتمر الأول للحركة الصهيونية الذي انعقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م ، دخل القس البروتستانتي (وليم هشلر) إلى قاعة المؤتمر مع هرتزل وهتف بحياة الزعيم الصهيوني قائلاً : « يحيا الملك » ، وخصب في الصهاينة قائلاً : « **استفيقوا يا أبناء إسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم فلسطين** »[2]

وقد أوضح « حايم وايزمان » هذا الدفع في مذكراته ، إذ يقول : « **وللقارىء أن يسأل : ما أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين ؟**

والجواب على ذلك ، أن الإنجليز – ولا سيما من كان منهم من المدرسة القديمة – هم أشد الناس تأثراً بالتوراة ، وتدين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا ، لأن الإنجليزي يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين ، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات »[3] .

وبعد قيام الكيان الصهيوني : بدأ سباق التنازلات بين الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية لمصلحة اليهودية والصهيونية .

ففي عام ١٩٦٥م ، صدر عن المجمع الفاتيكاني الثاني ، وثيقة خاصة بالعلاقة مع الأديان غير المسيحية جاء فيها : [**إن هذا المجمع المقدس إذ يتقصى سر الكنيسة يذكر الرباط الذي يربط روحياً شعب العهد الجديد بذرية إبراهيم ... ولا تبرح أمام ناظري الكنيسة كلمات بولس الرسول لي بني قومه : « الذين لهم التبني والمجد والعهود والناموس والعبادة والمواعيد ، لهم أيضاً الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد » ابن مريم العذراء وأنها تذكر أيضاً بأن الرسل الذين هم عواميد الكنيسة وأساسها ولدوا من الشعب اليهودي ، وكذلك كثير من أولئك التلاميذ الأولين الذين بشروا العالم بإنجيل المسيح ...**

وبما أن للمسيحيين ولليهود تراثاً روحياً مشتركاً وسامياً يريد هذا المجمع المقدس أن

---

(١) المصدر السابق – ص ٩ – ١٣٤ .

(٢) مجلة العربي – العدد ٣٢٦ / يناير ١٩٨٦م .

(٣) النبوءة والسياسة – ص ١٠ .

يوحي بالمعرفة والاعتبار المتبادلين وأن يعززهما بين الاثنين ... وأن الكنيسة لا تدفعها في ذلك* لدوافع السياسية بل محبة الانجيل الدينية متذكرة التراث المشترك مع اليهود][1] .

وذلك هو ما يبين الدافع الحقيقي وراء إنشاء الغرب للكيان الصهيوني ، ويبرز الدافع العقدي في صناعة القرار الغربي ، ودوره في التحالف الغربي – الصهيوني .

٣ – التسلل والسيطرة اليهودية على مراكز التأثير في الغرب :

« على الرغم من أن الأصوليين المسيحيين ، دينياً هم على النقيض من اليهود ، وكذلك اعتبار المقومات الدينية التي تميز الدولة اليهودية ، تقوم على أصول يهودية تعتبر الاهتداء بالمسيحية – وهو هدف أساسي للأصولية – تهديداً أساسياً لوجود اليهود كمجموعة ... على الرغم من كل ذلك فقد حدث تحالف بين الطرفين ، لأسباب شرحناها سابقاً ، ولوجود أهداف بعيدة المدى بينهما »[2] .

« وقد حافظت الكنيسة الكاثوليكية – إلى عهد قريب – على موقف ثابت من المسألة اليهودية يقوم على رفض التصالح مع اليهود إلا إذا اعترفوا بالمسيح واعتنقوا النصرانية»[3].

وعلى ضوء « العهد الجديد » فسرت الكنيسة الكاثوليكية كل الإشارات والتنبؤات المتعلقة باليهود تفسيراً جديداً يستبعد أي مضمون سياسي للنصوص قد يعني قضائية عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها .

١ – **فأرض الميعاد** : لم تعد في الفكر النصراني تعني رقعة جغرافية مادية بل أصبحت تعني حقيقة روحية فهي مملكة الله .. أي الجنة – (كما في رسالة بولس إلى العبرانيين ١١/٩–١٠) .

وقد بين المسيح أن مملكة الله ليست كياناً سياسياً يلم شمل اليهود ، وإنما هي حقيقة روحية موطنها القلب – (كما في لوقا/١٧–٢٠) .

٢ – وطبقاً للعهد الجديد **فورثة أرض الميعاد الروحية** ليسوا بني إسرائيل ، وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح ، لأنهم نسل إبراهيم الحقيقيين – (كما في رسالة بولس لأهل أغلاطية ٣/٢٩) .

---

* أي دفاعها عن اليهود وتصرفاتهم .

(١) النبوءة والسياسة – ص ١١ – من وثائق المجمع المسكوني الثاني – بيروت ١٩٦٩م .

(٢) النبوءة والسياسة – ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق – ص ١٠ .

٣ – **وشعب الله المختار** – في العهد الجديد – ليس جنساً بعينه وهو ما يسمى بالجنس الإسرائيلي ، وإنما هو شعب عامي من مختلف الأجناس يجمعه الإيمان بالمسيح (يوحنا ١/٢١) .

٤ – والمسيح ذاته **دان اليهود وقرر أنهم فقدوا امتياز الاختيار** – (يوحنا ٨/٤٢-٤٤) .

٥ – كما حكم المسيح على اليهود بالجحيم بسبب إنكارهم له (متى ٨/١١-١٢) .

وكل نصوص التوراة التي تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين أصبحت تعني عودة الكنيسة الكاثوليكية إليها ، أو تعني عودة اليهود من النفي البابلي ، أي أنها تنبؤات تحققت في الماضي ولا ينتظر تحقيقها في المستقبل[1] . كما أن كلمة إسرائيل نفسها أصبحت تعني الكنيسة المسيحية .

ولقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية – إلى عهد قريب – ترفض فكرة قيام كيان صهيوني من منطلق لاهوتي . ولعل أبلغ دليل على ذلك الحوار الذي جرى بين البابا « بيوس العاشر » وهرتزل الذي زار البابا عام ١٩٠٣م ، لكسب موافقته على المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين ؛ فبعد أن شرح هرتزل خطته أجاب البابا :

[أصبحت القدس مقدسة لعلاقتها بحياة المسيح ، ونحن لا نطيق ولا نسمح باستقرار اليهود هناك . اليهود لا يعترفون بمخلصنا ونحن لا نعترف باليهود ... فنحن لا نستطيع أن نسلك غير هذا ، طالما أن اليهود ينكرون وجود مسيحنا ، وينتظرون مجيء مسيحهم الذي جاءنا فعلاً . واليهود أولى الناس بالاعتراف به ولكنهم ينكرونه حتى يومنا هذا ...

فقد قامت الكنيسة في وقت متأخر ، بعد ثلاثمائة سنة ، وهي مدة كافية لليهود لأن « يعترفوا » به من غير أي ضغط خارجي ، بيد أنهم لم يفعلوا ذلك حتى الآن . ـ

– وحين قال هرتزل : أن اليهود المضطهدين يريدون أرضاً ... رد البابا : ولماذا الإصرار على القدس ؟ لقد دمر على هيكلكم إلى الأبد . أم لعلكم تريدون إعادة بنائه وتقومون بالمذابح وتقديم الضحايا كما اعتدتم أن تفعلوا في الماضي ... ؟

فنحن لا نوافق على ذلك . وإذا نزل قومكم هناك فلابد من تعميدهم

---

(١) وهو رأي الكنيسة الأرثوذكسية (المصرية خصة) – ففي أثناء لقاء شنودة الثالث بالرئيس كارتر ١٩٧٧ ، حيث صرح : « بأن الكتاب – العهد الجديد ليس في آية واحدة تقول بهذا (بأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل)، ولكن هناك نبوءة صدقت ، وتحققت بعودتهم من النفي وانتهي الوعد وأصبح واقعة قديمة تحققت بعودتهم من النفي وانتهى الوعد وأصبح واقعة قديمة تحققت في الماضي ولم يعد منه الآن إلا الذكرى » – صحيفة الأهرام ١٩٩٠/٥/٢٠ .

(تنصيرهم)]* .

فبعد أن كان اليهود – في نظر الكنيسة – يستحقون اللعنة باعتبارهم الشعب « المطرود » ، أصبحت الكنيسة تعتبرهم « الشعب المختار » !

وليس هناك سوى تفسير وحيد لهذا التحول الكبير من النقيض إلى النقيض سوى أن اليهود « **عمدوا إلى السيطرة على المؤسستين النصرانيتين العالميتين : الفاتيكان ، ومجلس الكنائس العالمي . وتمكنوا من إصدار وثيقة تحت اسم : تبرئة اليهود من المؤامرة التي جرت لصلب المسيح عليه السلام** »[1].

وظل اعتقاد النصارى باشتراك اليهود في مؤامرة صلب المسيح يمثل ركناً أساسياً من أركان المسيحية لفترة تقرب من ألف عام ، حتى أصدر مجلس الكنائس العالمي بياناً عام ١٩٦١م . جاء فيه : « العداء للسامية خطيئة ضد الله ، ضد الإنسان ، علينا في التعليم المسيحي ألا نلقي الأحداث التي أدت إلى صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودي ، فالمسئولية تقع على إنسانيتنا المشتركة وليست محصورة في جماعة معينة أو قوم »[2].

فانظر كيف بلغت سيطرة يهود !

وهذه السيطرة نتجت عن تسلل اليهود ، حيث تنصر منهم العديد حتى وصلوا إلى المراكز العليا في الكنيسة ، وذلك حدث مايماثله وهو ما يعرف باسم يهود « الدونمة » في تركيا – دولة الخلافة العثمانية ، حين ساهموا في تمزيق دولة الخلافة ، ثم اشتراكهم في إنشاء جماعة الاتحاد والترقي التي أنهت الخلافة ، ومنهم كمال أتاتورك حيث ولد بين يهود سلانيك ، ولعل أبلغ دليل على تسلل اليهود للمراكز المهمة هو [« إيمانويل قراصو » الذي كفته جميعة الاتحاد والترقي بإبلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد اثاني بقرار خلعه !

فهو يهودي أسباني الأصل . كان من أوائل المشتركين في حركة تركيا الفتاة . وكان مسئولاً أمام جمعية الاتحاد والترقي عن إثارة الشعب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد ... وصفته المصادر الإنجليزية بأنه من قادة الاتحاد والترقي . لعب دوراً هاماً في احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا . وكان أثناء وجوده في الدولة العثمانية لأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزولتا الماسوني][3].

---

* النبوءة والسياسة – ص ٨ نقلاً عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام – عبد الله التل – المكتب الإسلامي – بيروت – ١٩٧١ .

(١) مقال : خيوط المؤامرة / أنور الجندي – مجلة لواء الإسلام : شوال ١٤١٠هـ .

(٢) النبوءة والسياسة – ص ١٠ .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد – ص ٦ .

وكان خلع السلطان عبد الحميد الشرط اللازم لتفتيت دولة الخلافة ثم احتلال اليهود لفلسطين بعد ذلك .

ولعل سيطرة اليهود على عصبة الأمم قديماً ، وعلى الأمم المتحدة حديثاً ، ومراكز الاقتصاد والتجارة العالمية ، وملكيتهم لدور الصحف العالمية وممثليهم في وكالات الأنباء العالمية ، ثم وصولهم إلى مناصب كمنصب وزير الخارجية هنري كيسنجر في الولايات المتحدة الأمريكية ، بل وصلوا إلى رئاسة الدولة حيث كان برونو كرايسكي في النمسا ، وذلك غير ذوي الأصول اليهودية المجهولة أو تلك التي يجري التعتيم عليها ... لعل ذلك كله أصبح غير خافٍ على أحد .

٤ – التقاء أهداف الغرب واليهود (المصالح المشتركة) :

فعلى الرغم من العداوة التقليدية بين النصارى واليهود ، تلاقت أهداف الفئتين على محاربة الإسلام والمسلمين .

فمع أن الإسلام يوجب على اتباعه الاعتراف بنبوة عيسى بن مريم – عبد الله ورسوله – واحترام أمه السيدة مريم وتنزيههما من كل إثم ودنس ألصقه بهما اليهود ، وأن ذلك من مقتضيات إسلام المرء ، ورغم حماية المسلمين لليهود من بطش النصارى ، ولجوئهم إلى ديار المسلمين متمتعين بكل ما وفره الإسلام من عدل وحماية لأهل الذمة ، وكذلك اعتراف المسلمين برسل الله الكرام من بني إسرائيل ... على الرغم من هذا كله تغلب الحقد الأعمى الدفين في نفوس هؤلاء وهؤلاء ، واتفقا – رغم ما بينهما من خلافات وعداوات – على الكيد للإسلام والمسلمين .

كل منهما وجد له منفعة أساسية في هذا التحالف ، فاليهود سيقيمون دولتهم حيث ينتقمون من العرب المسلمين ، والغرب سينشىء له [**قاعدة متقدمة – في تلك المنطقة – تؤلف جسراً للعودة إليها حينما تتهدد مصالحه . وتكون محرقة تستنزف طاقات الأمة العربية الإسلامية وتبقيها رهينة التخلف ، ورهينة الهيمنة الغربية وتشغلها عن استعادة دورها القيادي في العالمي ، كما تكون العصا الغليظة التي تشهرها القوى الغربية الاستعمارية في وجه كل الدول والحركات التحررية التي تسعى للوحدة والتقدم وإحياء الدور الحضاري للأمة العربية الإسلامية**][1].

وتأكيداً لما نقول ، نورد هنا تقريراً وضعته لجنة أوربية – مشكلة من مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والبترول والإذاعة – رداً على سؤال اللورد كاميل

---

(١) النبوءة والسياسة – ص ٥ .

بنرمان عن (**ما هو مصير الحضارة الغربية .. ؟**) حيث تساءل : [... إن الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ، ثم تنحل رويداً ثم تزول .. فهل لديكم أسباب ووسائل يمكن أن تحول دون السقوط أو الانهيار أو تؤخر مصير الاستعمال الأوربي وقد بلغ الآن الذروة ، وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ؛ بينما العالم الآخر لا يزال في مطلع شبابه ؟] .

فجاء في التقرير الذي أحالته وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة المستعمرات ، حول خطة عمل المستقبل :

(.. إن الخطر المهدد يكمن في البحر المتوسط ، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص ، حيث يوجد شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة والآمال وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ، فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية – وطالب التقرير بأنه على الدول الأوروبية ذات المصالح المشتركة أن تعمل على تجزئة هذه المنطقة وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتناحر وتأخر ، وطالب بضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الأسيوي ، واقترحت اللجنة لذلك :

« إقامة حاجز بشري قوي غريب على الجسر البري الذي يربط بين آسيا وأفريقيا ويربطهم معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة – وعلى مقربة من قناة السويس – قوة صديقة للاستعمال وعدوة لسكان المنطقة »[1]– وتكون شوكة تخز العملاق كلما أراد النهوض . ويعرف ذلك التقرير ، باسم « تقرير كامبل » – ١٩٠٧م .

وبناء على ذلك صدر وعد بلفور ١٩١٧م ، والذي يقضي « بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » ، وهو أغرب وأشنع وعد في تاريخ الدول حيث « أعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق » ، وحيث « أمة وعدت أخرى علناً بأرض أمة ثالثة !! » ـــ كما يقول آرثر كوستلر في كتابه « الوعد والوفاء »[2] .

وغني عن الذكر ، تستر تقرير « كاميل » وراء ألفاظ : « الشعب الذي يعيش على الشواطىء الجنوبية ، والشرقية بوجه خاص للبحر المتوسط ... » ليخفي مراده بأنه الشعب العربي الإسلامي ، حيث منطقة القلب . وللدليل على أن مبعث ذلك التقرير دوافع دينية عميقة ، نقول : لماذا لم تذكر شعوب أخرى في الصين وشبه الجزيرة الهندية

---

(١) المسمون واسترداد بيت المقدس – ص ٤٤ – ٤٥ .
(٢) ملف إسرائيل – صحيفة الأهرام ١٩٨٣/٣/١٦ .

وأمريكا الجنوبية واليابان ، بل القارة البكر ، أفريقيا وهي في معظمها أيسر منالاً وأخف عواقب ؟! بل ولماذا تعمد اختيار الكيان اليهودي بالذات ؟! ... إن وراء كل ذلك دوافع دينية غير خافية يحركها الحقد الدفين من ناحية ، ومن الناحية الأخرى الموروثات الكنسية النصرانية – كما أوضحنا ذلك من قبل – فحينما تردد هرتزل في اختيار فلسطين كمشروع استيطاني صهيوني أرسل إليه قس بروتستنتي[1] ما يشجعه على الإقدام وعدم التردد ، ويرجع ذلك لاعتقاد كثير من النصارى – خاصة الأصوليون الإنجيليون* بأنه قبل المجيء الثاني للمسيح – حيث سيقيم مملكة في القدس تستمر لمدة ألف عام – يسبق ذلك – في اعتقادهم[2] ـــ عودة اليهود إلى أرض فلسطين ، وإقامة دولة يهودية فيها ، عاصمتها القدس ثم تدمير الصروح الإسلامية كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة حيث سيشيد اليهود « الهيكل الثالث » ليتمكنوا من استئناف التضحية بالحيوان ، مستندين لتأويل نص إنجيلي بأنه « **في نهاية الزمن يجدد اليهود التضحية بالحيوان** » – حزقيال ٢٩/٤٤ ، ولتنفيذ ذلك يجري طرد السكان العرب المسلمين من الحرم الشريف ، وتسريب أخبار الحفريات والأنفاق حول وتحت الحرم الشريف لجس النبض ورد الفعل عند المسلمين ، وكذلك تسريب نظريات متضاربة حول مكان الهيكل المزعوم ليعتاد المسلمون والرأي العام ذلك ويتقبلونه شيئاً فشيئاً كأمر مسلم به وواقع ، وقد تؤدي الأنفاق المحفورة تلك وبواسطة هزات للأرض لتقويض المسجد طريقة أو بأخرى وهم حالياً يروجون لنظرية تقول بأن « **الهيكل لم يكن قائماً في الموقع الحالي لقبة الصخرة ، إنما إلى الجنوب منه** » ، **ويهدفون إلى « المضي في المخطط خطوة خطوة . فإذا لم ينسفوا المسجد فسينظر إليهم كمعتدلين ، بدلاً من مخاطر الدخول في حرب مقدسة مع ١٥٠ مليون مسلم يحيطون بإسرائيل – وألف مليون مسلم في العالم – إن بعض قادة إسرائيل يختبرون الأجواء السياسية لبناء الهيكل إلى جانب المسجد . فإذا حققوا ذلك ، فإنهم قد يعمدون لاحقاً إلى إزالة الحرم الشريف . إنها لعبة القوة السياسية** »[3] .

وختاماً لما سبق ، نورد ما قاله « هول لندسي »* في كتابه : « آخر أعظم كرة أرضية » :

---

(١) هو المبشر المسيحي : وليم بلاكستون ، من كتاب « النبوءة والسياسة » – ص ٩ .

(٢) النبوءة والسياسة – ص ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٠ .

* من أشهرهم القس « جيمي سواجارت » و « جيري فالويل » و « بات روبرتسون » .

(٣) النبوءة والسياسة – ص ١١٠ .

* نشر ذلك الكتاب في السبعينات من هذا القرن العشرين ، وحقق رواجاً هائلاً في الإقبال على شرائه .

[لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم . ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى في جبل موريا حيث شيد الهيكلان السابقان][1] .

وانطلاقاً من هذه المفاهيم ، أصدر الفاتيكان في ١٩٨٢/٣م ، وثيقة حول الكيان الصهيوني جاء فيها : « إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ متواصل ، وإن انتشار إسرائيل في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب وهي تحتفظ دائماً في قلبها بذكرى أرض الأحرار ؛ وإن وجود الدولة الإسرائيلية أمر تاريخي وهو علامة للتفسير في اتجاه واضح للرب »[2] . ومنذ السبعينات من هذا القرن يشهد العالم الغربي حركة مسيحية جديدة تتركز في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوربا ، تدعو إلى دعم الكيان اليهودي من أجل تحقيق مشروع « إسرائيل الكبرى » من الفرات إلى النيل ، وتمكين الصهاينة من الاستيلاء على القدس ، وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى ، لأن ذلك شرط لازم في اعتقادها لعودة المسيح .

ومن أشهر المؤمنين بآراء هذه الحركة الرئيسية الأمريكية : رونالد ريجان ، وجورج بوش حالياً .

وانطلاقاً من مفهوم إنجيلي / يهودي تم استبعاد عدة مشاريع لتوطين اليهود في غير أرض فلسطين : في الأرجنتين (عام ١٨٩٧م) ، قبرص (١٩٠١ - ١٩٠٢) ، وسيناء (١٩٠٢) ثم أوغندا (١٩٠٣ - ١٩٠٤) ، وتم حسم الأمر باختيار فلسطين (١٩٠٥)[3] .

وقد رعى الغرب المسيحي ، الكيان الصهيوني وخطط لكل ما حدث وما يحدث حالياً ، حيث بعث رئيس المخابرات البريطانية إلى « لويد جورج » رئيس الوزراء ، بمذكرة أثناء انعقاد « مؤتمر الصلح » - بباريس عام ١٩١٧م ، جاء فيها :

« لقد وضعنا الآن بيضتين للوطنية العربية والوطنية اليهودية ... وبعد ٥٠ سنة ستتحول هاتان البيضتان إلى ديكين يتصارعان ... وعلينا من الآن أن نعمل على الفصل بينهما ، فنفصل بين مصر وبين العرب وإبعادها عنهم »[4] — وهو ما حدث فعلاً - بعد

---

(١) المصدر السابق - ص ١٠١ .

(٢) المصدر السابق - ص ١٣ .

(٣) ملف إسرائيل - صحيفة الأهرام ١٩٨٣/٣/١٧ .

(٤) د. محمد حسن الزيات - وزير الخارجية المصري الأسبق - صحيفة الأهرام ١٩٨٨/١٠/٦ .

ذلك – بكل دقة .

٥ – التخلص من شرور اليهود ، ورزء المسلمين بهم :

يوجد تيار في الغرب المسيحي – منهم بعض الأصوليين الإنجيليين – يرى نفسه الأفضل ، لأنهم كمسيحيين آمنوا بالمسيح ، وبالتالي أصبحوا مخلصين ، بينما اليهودي – مع كل أولئك الذين يرفضون قبول « الوهبة » المسيح ، في زعمهم – لا يؤمنون به[١] .

كذلك وجد في أمريكا مسيحيو الجناح اليميني الذين [**بشروا بأن أمريكا** (مسيحية) **ستكون أفضل بدون اليهود**][٢] .

كذلك أيدت الحركة الإصلاحية البروتستانتية ، فكرة « انجلترا وأوربا متحررة من اليهود »[٣] ــ تخلصاً من شرورهم ودسائسهم ، وفي ذلك يقول بنيامين فرانكلين في خطاب ألقاه عام ١٩٨٩م ، مبيناً خطر الصهيونية على بلاده – أمريكا :

[هناك خطر جسيم تتعرض له الولايات المتحدة ، وهذا الخطر هو الإسرائيليون ، أينما حلوا – هؤلاء اليهود – هبط المستوى الأخلاقي والشرف التجاري ، إنهم دائمو الشكوى من مصيرهم القاسي ولكن إذا هيأ لهم العالم المتمدين سبل العودة إلى فلسطين (هكذا !) خلقوا أسباباً حاسمة للرفض ... إنني أحذركم أيها السادة إنكم إذا لم تقصوا اليهود ، فلن تمضي مائة عام حتى يذوق أحفادنا الشقاء الأليم لإطعامهم ... إن اليهود خطر على هذه البلاد ، فإذا دخلوها حاق الخطر بدستورها . يجب إذن إقصاؤهم عنا][٤] .

وقد عانى الغرب[٥] وقاسى من شرور اليهود ومكائدهم ، حدث ذلك في بريطانيا في عهود الملك جون ، وهنري الثالث ، وإدورد الأول ١٢٧٢م . الذي حكم بطردهم جميعاً من بريطانيا عام ٢٩٠ م ، ولم يبق يهودي واحد بها طوال ثلاثة قرون متتالية ، إلى أن أعلن كرمويل حمايته لهم عام ١٦٥٦م .

وفي فرنسا ، اختنق شعبها بمؤامرات اليهود وسعيهم الحثيث لإفساد الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية ، وكان رد الفعل تعرضهم لعمليات انتقامية في عهود لويس أغسطس ، ولويس الأول وفيليب الجديد ، ولم تأت سنة ١٢٩٤م إلا وكانت فرنسا قد خلت من كل

---

(١) ، (٢) النبوءة والسياسة ــ ص ١٤٨ .
(٣) المصدر السابق – ص ١٣٩ .
(٤) المسلمون واسترداد بيت المقدس – ص ٤٤ – ٤٥ .
(٥) المصدر السابق – ص ٤٠ – ٤١ .

أثر لليهود ، ثم تسللوا إليها عقب طردهم من أسبانيا ، ولم يؤذن لهم بالسكنى إلا في أواسط القرن السادس عشر ، ثم ازداد نفوذهم منذ الثورة الفرنسية حتى الآن .

وفي أسبانيا ، صدر المرسوم الملكي في عهد فرديناند وزوجته إيزابلا عام ١٤٩٢م بنفيهم خارج البلاد .

أما في ألمانيا ، فقد جلبوا لها الهزيمة في الحرب العالمية الأولى وأفسدوا أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وكثرت دسائسهم واتصالهم بأعداء ألمانيا حتى اضطر هتلر لملاحقتهم ولطردهم ...

وهكذا كان الحال في البرتغال ، وفي روسيا ، وإيطاليا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وسويسرا ...

لذا فرح كل أولئك بتخليص بلادهم من سيطرة اليهود ودسائسهم ورموا بهم المسلمين – باعتبارهم أعداء من وجهة نظرهم .

ولكل هذه الدوافع السابقة استقر الرأي على غرس الخنجر المسموم ، « إسرائيل » في قلب العالم الإسلامي – في فلسطين ، **مستترين وراء أساطير وأوهام زائفة** .

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمُ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمُ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

(سورة البقرة : ٧٩)